



مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

أهداف روسيا ونهجها تجاه العراق

فرزاد رمزاني بونيش



سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركزٌ مستقلٌّ، غيرُ ربحيٍّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلولٍ عمليّةٍ جليّةٍ لقضايا معقدة تهّمُ الحقلين السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنما تعبّر عن رأي كاتبها.

حقوق النشر محفوظة © 2022

www.bayancenter.org

info@bayancenter.org

Since 2014

أهداف روسيا ونهجها تجاه العراق

فرزاد رمزاني بونيش*

تاريخ العلاقة

أُسِّست العلاقات السوفيتية العراقية في 9 سبتمبر/أيلول 1944، وقُطعت في عام 1955، وأعيدَ بناؤها في يوليو/تموز 1958¹. كان التعاون بين البلدين -مع بعض التقلبات- إيجابياً عموماً، وعُدَّت بغداد كأحد أهم الشركاء السوفييت في العالم العربي. كان توقيع معاهدة الصداقة والتعاون بين الاتحاد السوفيتي والعراق في أبريل/نيسان 1972 أساساً قانونياً قوياً للعلاقات بين البلدين.

أثر احتلال العراق للكويت في أغسطس/آب 1990، والدعم السوفيتي لقرارات مجلس الأمن الدولي ضد العراق، وانحياز الاتحاد السوفيتي، والعقوبات الدولية على العراق سلباً على العلاقات الثنائية القوية. لكن الغزو الأمريكي للعراق والإطاحة بالنظام البعثي عام 2003 كان بمنزلة نهاية للوحدة الروسية العراقية.

مع المعارضة الروسية للغزو الأمريكي للعراق عام 2003، إلا أن موسكو تكيّفت مع موقفها السابق وتعاونت مع الحكومة العراقية الجديدة. افتتحت القنصلية العامة الروسية في أربيل (كردستان العراق) في نوفمبر/تشرين الثاني 2007، والقنصلية العامة الروسية في مدينة البصرة جنوب العراق في أغسطس/آب 2011².

رأينا أن روسيا تنهض -من عام 2003 إلى عام 2011- بدور ضئيل³ في عراق ما بعد صدام. جعلت صفقة الأسلحة البالغة (4) مليارات دولار مع الحكومة العراقية في عام 2012 العراق ثاني أكبر مشترٍ للأسلحة الروسية. تتأثر العلاقات الروسية العراقية بمخبرات مهمة تتعلق بالمنافسة الجيوسياسية والاقتصادية.

1. <http://www.rirbc.ru/ob-irake/sotrudnichestvo-s-rf.html>

2. <http://www.rirbc.ru/ob-irake/sotrudnichestvo-s-rf.html>

3. <http://ensani.ir/file/download/article/1608543803-10054-99-1-4.pdf> <https://warsawinstitute.org/oil-tanks-russians-strengthen>

* كاتب وباحث أقدم ومحلل مهمتهم بشؤون الشرق الأوسط وجنوب آسيا.

كانت اتفاقية التعاون التجاري والاقتصادي والعلمي والفني في أغسطس/آب 1993، واتفاقية التعاون بشأن إنشاء منشآت في صناعة النفط والغاز في أبريل/نيسان 1995، واتفاقية تسوية الديون على القروض السابقة في فبراير 2008⁴؛ جزءاً من الاتفاقات الثنائية المشتركة في العلاقات الدبلوماسية.

النهج والأهداف السياسية والجيوسياسية

كانت روسيا، التي طالما حلمت بالعودة إلى موقع القوة العظمى، تمارس دورها بوصفها قوة موازنة للولايات المتحدة، مستغلة أوجه القصور في السياسات الغربية في الشرق الأوسط. لطالما حُدِّدَ جزء من سياسة روسيا تجاه العراق عن طريق كيفية ارتباطها بالغرب وعودتها كلاعب جيوسياسي مهم.

وتسعى روسيا أيضاً إلى الحصول على منصب يتناسب مع قدراتها في الشرق الأوسط، بالنظر إلى قوتها التاريخية والإقليمية والعسكرية وعضويتها الدائمة في مجلس الأمن الدولي. وهي تتبع هذا النهج عن طريق الإصرار على الحفاظ على الخطوط الحمراء، وتحقيق التوازن بين جميع الجهات الفاعلة، وتأكيد القواسم المشتركة بدلاً من الاختلافات.

أشار بوتين -في عام 2018- إلى أنه كان سيعكس مسار انهيار الاتحاد السوفيتي لو أُتيحت له فرصة لتغيير التاريخ الروسي الحديث⁵. وفي هذا الصدد، يريد من يُجنِّون للعهد السوفيتي استعادة النفوذ الروسي بالكامل في العراق. فهم يدعمون تحالفاً براغماتياً مع إيران كموازنة ضد الولايات المتحدة، ومعارضة تقسيم العراق إلى دول صغرى⁶. تسعى روسيا -الآن- إلى استعادة ميزان القوى في مواجهة توسُّع الناتو والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة في المنطقة.

مثَّلت سياسة الولايات المتحدة وتقليص وجودها في الشرق الأوسط فرصة لتوسيع دور موسكو في المنطقة (بغض النظر عمَّن سيملئ فراغ الولايات المتحدة). ليس لروسيا عنصر أيديولوجي رئيس في سياستها الخارجية تجاه الشرق الأوسط. لذا، حافظت روسيا على اتصالات ضمنية (وشبه رسمية) مع جميع الأطراف، وعن طريق تأكيد وحدة أراضي العراق، وطوّرت علاقات

4. <http://www.rirbc.ru/ob-irake/sotrudnichestvo-s-rf.html>

5. <https://www.reuters.com/article/us-russia-election-putin-idUSKCN1GE2TF>

6. <https://rg.ru/2022/03/20/zhirinovskij-plany-ssha-po-razdeleniiu-iraka-namalenkie-gosudarstva-provalilis.html>

جيدة مع المنطقة الكردية. حتى الكرملين لا يفوّت فرصة التدخل كلّمَا تصاعد التوتر بين بغداد أو أربيل مع واشنطن⁷. مع استمرار العلاقات الطيبة، أو تبادل⁸ الآراء مع القادة الأكراد، أو مناهج مثل منع الغزو التركي لشمال شرق سوريا،⁹ تم إيلاء اهتمام خاص لتوسيع العلاقات مع المنطقة الكردية العراقية.

تدعم موسكو -على الصعيد الدبلوماسي- تصرفات السلطات العراقية الهادفة إلى استعادة سيادة البلاد ووحدة أراضيها. ففي عام 2015، وبدعوة من الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، قام رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي بمناقشة قضايا التعاون الثنائي، والأجندة الدولية. وشهدت السنوات الماضية¹⁰ حضور وفود ومسؤولين مختلفين داخل العراق، كان منها لقاء (بوجدانوف) المبعوث الخاص لرئيس روسيا برهم صالح رئيس العراق، ودعوة بوتين مصطفى الكاظمي لزيارة موسكو¹¹، ودعوة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين لزيارة بغداد. كانت جميعها نتائج أخرى لتركيز موسكو على العراق.

نهج الأمن والدفاع

بوجود (50-30) مليون مسلم، فإنّ أحد وجهات نظر الوثيقة الوطنية الروسية هو محاربة الإرهاب. منذ التسعينيات واجهت روسيا الجديدة الانفصالية، والدعم المالي من بعض الدول لانتشار الإسلام السلفي، وصعود تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)، وتجنيد متطوعين روس ل(داعش) والجماعات المتطرّفة الأخرى.

من المهم فهم التهديد الأمني في تحديد التحالفات الروسية. لذا، وبالتعاون من روسيا مع الحكومة العراقية ومركز المخابرات الرباعي، بما في ذلك موسكو وبغداد ودمشق وطهران، أنشئ مركز

7. <https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/why-russias-great-power-game-iraq-matters>

8. <https://tinyurl.com/285dztg6s>

9. https://www-rudawarabia-net.translate.google.com/arabic/interview/03112021?_x_tr_sl=ar&_x_tr_tl=fa&_x_tr_hl=fa&_x_tr_pto=sc

10. <https://ria.ru/20170723/1498945524.html>

11. <https://tinyurl.com/2c2u968r>

قيادة في بغداد¹² ووفقاً لاتفاقية تبادل المعلومات الاستخباراتية¹³.

كما يبرز دور العراق في متابعة أخبار تنظيم (داعش) الإرهابي¹⁴، وأهمية المقرات الأمنية الرباعية عن طريق تحييد العمليات الإرهابية ضد الكنيسة الأرثوذكسية في شبه جزيرة القرم¹⁵.

يمكن لهذا النهج، وإلى جانب بعثة الناتو في العراق¹⁶ في بغداد في أكتوبر/تشرين الأول 2018، أن يمنع (داعش) من العودة إلى العراق. كما تحاول روسيا الحد من الدور الأحادي للولايات المتحدة في العراق عن طريق الدخول في العلاقات السياسية والأمنية¹⁷ العراقية، وهذا سيؤثر على الهيكل الإستراتيجي للشرق الأوسط.

كان النظام العراقي السابق يزود الجيش العراقي بجميع الأسلحة الرئيسة من روسيا، وما يزال كثير منها قيد الاستخدام. تسارعت جهود روسيا منذ 2014، حينما احتاج العراق إلى مساعدة فورية لمحاربة (داعش)، وتأثرت في وصول المساعدة العسكرية من واشنطن¹⁸.

اتفاقية توريد أكثر من (10) طائرات هجومية من طراز (Su-25) في عام 2014، وتسليم أنظمة دفاع جوي حديثة إلى بغداد، واتفاقية التعاون العسكري التقني في عام 2015، وعقد توريد دبابات (T-90) في عام 2017، كانت جزءاً من الاستعدادات لتلبية حاجة العراق إلى منتجات عسكرية روسية الصنع¹⁹.

يهتم العراقيون بالحصول على خدمات طائرات مقاتلة روسية²⁰ من الجيل الخامس (Su-57) وشراء أنظمة دفاعية مثل (S-400). لكن تنويع سلاسل التوريد العسكرية الخاصة بهم،

12. <https://www.trtworld.com/magazine/the-importance-of-russia-s-growing-footprint-in-iraq-40054>

13. <https://rawabetcenter.com/archives/125648>

14. <https://tinyurl.com/296w5bxv>

15. <https://tinyurl.com/29c7f8et>

16. https://www.nato.int/cps/en/natohq/topics_166936.htm

17. <https://democraticac.de/?p=75336>

18. <https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/why-russias-great-power-game-iraq-matters>

19. <https://jamestown.org/program/russia-and-iraq-deepen-energy-military-ties/>

20. <https://rawabetcenter.com/archives/125648>

وخطر رد الفعل الأمريكي عن طريق العقوبات²¹ (قانون مكافحة أعداء أمريكا عن طريق العقوبات) يمثّل عائقاً أمام نمو العلاقات العسكرية والأسلحة.

النهج النووي

كانت المفاعلات السابقة في العراق سوفيتية الصنع. وكانت هيئة تنظيم المواد المشعة العراقية قد أعلنت في وقت سابق عزمها بناء ثماني مفاعلات نووية لتوليد نحو (11 جيجاوات)²² من الكهرباء. وفي هذا الصدد، فإنّ تعاون روسيا الدّري مع العراق في المجال النووي، وبناء (8) مفاعلات لتزويد البلاد بالكهرباء، أي تزويدها بنسبة (25%) من احتياجاتها من الطاقة في عام 2030، هو جزء من خطة موسكو في العراق.

النهج الثقافي والاجتماعي

استخدمت روسيا القوة الناعمة كجزء من أهدافها الإستراتيجية. في الواقع، يُعدّ تعداد سكانها المسلمين الذين يتراوح عددهم بين (30-50) مليون نسمة مصدراً للقوة الناعمة، ولهم دور نشط في السياسة الخارجية لروسيا في الشرق الأوسط²³. تؤكّد موسكو دعمها للتراث الإسلامي المشترك عن طريق الدبلوماسية الشعبية، وخلق الظروف المؤاتية للتعاون، والتبادل في جميع المجالات الثقافية والفنية²⁴، والزيادة السنوية في المنح الدراسية للطلاب العراقيين²⁵.

نهج الاقتصاد والطاقة

فقدت روسيا عميلاً قوياً مع سقوط صدام حسين في العراق عام 2003. شكّلت الصادرات إلى العراق بحلول ذلك العام أكثر من (50%) من إجمالي صادرات روسيا إلى المنطقة، وكانت روسيا الشريك التجاري الأول للعراق. انخفضت التجارة بين البلدين في عام 2003؛ أقلّ بثماني مرات ممّا كانت عليه في عام 1989²⁶. وتقدّر خسائر روسيا في العراق بمليارات الدولارات. إذ

21. <https://english.alaraby.co.uk/analysis/russias-influence-iraq-challenge-us>

22. <https://tinyurl.com/236ov6vp>

23. <https://www.mei.edu/publications/how-have-russias-policies-middle-east-changed-arab-uprisings-0>

24. <https://ria.ru/20170723/1498945524.html>

25. <https://tinyurl.com/2447ncko>

26. <https://rawabetcenter.com/archives/125648>

شطب فلاديمير بوتين - في عام 2008 - ما حجمه (12.9) مليار دولار من ديون العراق التي تعود إلى الحقبة السوفيتية، وعلى مدى العقدين الماضيين، ركزت روسيا على مجالات²⁷ الاهتمام في العراق، مثل: (الطاقة النووية، والنفط والغاز، والبتروكيماويات، والأسلحة، والحبوب). تنوي روسيا توسيع فرصها الاقتصادية.

من ناحية أخرى، بعد اكتشاف احتياطيات الغاز والنفط، ومعدل استخراج النفط، واحتياطيات النفط والغاز الكبيرة المتخلفة، وتكاليف الاستخراج المنخفضة، فإن العراق جذاب للغاية²⁸. لذا تعزز روسيا العمل بصورة وثيقة مع العراق في اتفاقية (أوبك+) من أجل الحفاظ على الاستقرار في سوق الطاقة العالمي.

تعدّ الطاقة جزءاً رئيساً من نفوذ الكرملين في العراق، وأصبحت عقود الطاقة مع موسكو أكثر إستراتيجية في أوائل عام 2017. وفي السنوات الأخيرة، كان خروج شركات النفط الغربية²⁹ الكبرى من المنطقة فرصة للشركات الروسية³⁰ لتحل محلها. وفي هذا الصدد، دعم أنشطة شركات النفط والغاز الروسية (مثل لوك أويل وغازبروم) في العراق، وتعزيز مكانتها عن طريق شراء أسهم في قطاع النفط العراقي³¹، وتعزيز تفاعل الشركات الروسية مع إقليم كردستان، واستثمار (13) مليار دولار في شركات داخل العراق. تخطط روسيا للتوسع في استثمارات بقيمة (45) مليار دولار في العراق بحلول عام 2035³².

على صعيد آخر، يسعى المسؤولون الروس إلى تنفيذ الدبلوماسية الاقتصادية واجتماع اللجنة الحكومية مع العراق؛ لتعزيز التعاون الاقتصادي. وُقعت (16) اتفاقية ومذكرة تفاهم في مجالات (الاتصالات، والتجارة، والطاقة، والكهرباء، والإنتاج، وتكنولوجيا المعلومات، والنقل، والمصارف، وتسهيل إصدار التأشيرات لدخول العراق، وتأشيرات الدخول للمستثمرين والدبلوماسيين من البلدين).

27. <https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/lmadha-tutbr-lbt-alqwt-alzmy-lrwsya-fy-alraq-dhat-ahmwyt>

28. <https://www.scfr.ir/en/economy/134250/future-cooperation-of-iraq-russia-on-energy-sector/>

29. <https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/why-russias-great-power-game-iraq-matters>

30. <https://tinyurl.com/27su3rbk>

31. <https://jamestown.org/program/russia-and-iraq-deepen-energy-military-ties/>

32. https://oilcapital.ru/article/general/01-11-2019/novyy-neftyanoy-pohod-v-irak?_x_tr_sl=ru&_x_tr_tl=fa&_x_tr_hl=fa&_x_tr_pto=sc

كما تولي روسيا اهتماماً لتنويع العلاقات الاقتصادية الروسية العراقية، فيما يتعلّق بإمكانية الاستثمار في مشاريع الطرق والسكك الحديدية، وكذلك استخراج المعادن والهيدروكربونات³³ في العراق؛ لاحتوائه على موارد كبيرة من الكبريت والفوسفور والصخور المالحّة، والتنقيب الجيولوجي³⁴ للتربة العراقية.

كانت الأجزاء الرئيسة للصادرات الروسية إلى العراق في عام 2016 هي الآلات والمعدات والمركبات. وكانت الأجزاء الرئيسة للواردات الروسية من العراق في عام 2016 منتجات من الصناعة الكيماوية.³⁵ يبلغ حجم التبادل التجاري بين بغداد وموسكو نحو (1.5) المليار دولار. وتبلغ قيمة صفقات الأسلحة الجارية أكثر من (4) مليارات دولار. ومع أنّ بعض المصادر الأخرى³⁶ قلّلت من تقديرها في السنوات الأخيرة، إلا أنّ صادرات روسيا³⁷ إلى العراق في عام 2020 بلغت (127) مليون دولار.

الرؤية

لم تُستَخدم الإمكانات التجارية والاقتصادية الحالية استخداماً كاملاً، وعملياً، إذ إنّ حجم العلاقات بين البلدين وترتيب البلدين بين الشركاء الاقتصاديين الرئيسين لهما أقل بكثير ممّا كان عليه في الفترات السابقة. مع رغبة موسكو في الحفاظ على محافظتها المالية البالغة (14) مليار دولار وتوسيعها في العراق -التي معظمها في قطاع النفط والغاز-. نظراً لاحتمال فرض عقوبات طويلة الأمد على موسكو، من المرجّح أن يبذل العراق جهوداً لتنويع الاعتماد التدريجي على الاستثمار الروسي وتقليصه.

ويخشى العراق³⁸ أيضاً من تعميق العلاقات الاقتصادية مع روسيا، والاستثمار الروسي، والتحويلات المالية إلى روسيا، وتقرير العقوبات الغربية.

33. <https://www.kommersant.ru/doc/4364117>

34. <https://www.kommersant.ru/doc/4364117>

35. <https://ria.ru/20170723/1498945524.html>

36. <https://elaph.com/Web/News/2022/03/1467140.html>

37. <https://tradingeconomics.com/russia/exports/iraq>

38. <https://www.mei.edu/publications/what-does-russias-war-ukraine-mean-iraq>

لدى روسيا تفسيرها الخاص للدستور العراقي، ولا تولي اهتماماً لضغوط الحكومة المركزية العراقية، فقد وقّعت حكومة إقليم كردستان بالفعل عقوداً مع شركات النفط والغاز الروسية الكبرى³⁹. لكنّ الاستثمارات الروسية الجديدة ستتأثر أيضاً بالعقوبات. فمع مرونة روسيا الكبيرة وانخفاض شروط⁴⁰ شراء الأسلحة أو القدرة العسكرية، إذا أنه قد يصبح التأثير الرادع للعقوبات على مشتريات العراق من الأسلحة أكثر وضوحاً، ويمكن أن يمنع قانون مكافحة أعداء أمريكا عن طريق العقوبات⁴¹ من شراء الأسلحة. ومع ذلك، فإنّ الكفاءة المنخفضة للأسلحة الروسية في حرب أوكرانيا مقارنة بالإصدارات الأخرى قد تقلّل من استعداد العراق لشراء الأسلحة الروسية.

حليف سياسي وجيوسياسي، مع امتناع⁴² العراق عن التصويت على قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بشأن الغزو الروسي لأوكرانيا، إذا تفاقمت التوترات، وتصاعدت التوترات بين روسيا والغرب، فمن غير المرجح أن يكون العراق في موقف أكثر استباقية مع روسيا. هذا يمكن أن يمنع توسيع العلاقات السياسية والدبلوماسية الثنائية.

والواضح أنّ النظرة المستقبلية للعلاقات بين البلدين مرتبطة بنظرة روسيا للعراق، ومتغيرات ثنائية ودولية جيوسياسية وسياسية، وأمنية، وعسكرية، واقتصادية. على المدى القصير، قد يكون لأيّ نتيجة للأزمة الأوكرانية والعقوبات الروسية تأثير سلبي، أو إيجابي كبير على العلاقات الروسية العراقية. في الواقع، إنّ استمرار الوضع الحالي والحرب سيزيد من التحديات للعلاقات، وأي وقف لإطلاق النار وسلام في الأزمة في أوكرانيا يمكن أن يلفت الانتباه لزيادة العلاقات بين موسكو وبغداد.

39. <https://www.rudaw.net/english/world/010320221>

40. <https://www.atlanticcouncil.org/blogs/menasource/russia-in-the-middle-east-a-source-of-stability-or-a-pot-stirrer/>

41. <https://www.mei.edu/publications/what-does-russias-war-ukraine-mean-iraq>

42. <https://tinyurl.com/y685vt3c>

<https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/un-resolution-ukraine-how-did-middle-east-vote>